النساء يعترفن سرا !!

ترى لو اجتمعت إحدى عشر امرأة فى مكان ما يتحدثن عن عالم الرجال ، والجو صحو ، والسماء صافية ، والجلسة عائلية ، وكل امرأة تشعر بالأمن والراحة، ورفع من جلستهن ثوب الخجل ، والصمت عن أسرار الأزواج .. فصارت كل واحدة منهن تبث ما فى نفسه من إحساس ، وتنقل ما يخالجها من شعور سواء أكان بغيضا أم كريما نحو بعلها .

وليس غريبا عل النساء أو بمستغرب هذا الأمر ، فكثيرا ما يفعلن هذا الأمر ولا حياء !! ولكن الأغرب والأعجب أن يسجل هذا الحديث ، وينقل عبر وسيلة آمنة صادقة ، لا تزيد حرفا أو تنقص حرفا ، ينقل بمصداقية وأمانة ، كما نقل القرآن من رسول السماء (جبريل) إلى البشر من خلال سيد البشرية جمعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ترى ماذا دار فى حديث هؤلاء النسوة ؟ وما الذى يثيرهن فى عالم الرجولة الخشن ؟ وما الذى يثير اشمئزازهن وكراهيتهن ؟ .

هذا ما سنعرفه من هذا الحديث الشائق الذى روته أم المؤمنين عائشة فى صحيح البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اجتمعت إحدى عشرة امرأة فى الجاهلية فتعاهدن أن يتصادقن بينهن ، ولا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا ..

[١] فقالت الأولى : زوجى لحم جمل غث .. على رأس جبل وعر .. لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى (زوجها مثل الجمل الهزيل المسن ، وهو ليس سهل المنال فهو على قمة جبل عال فى طريق وعر .. من الصعب أن تصل إليه لتستخدمه ، وهو ردىء وضعيف ولا يستحق الإصرار والمجازفة لتحصل عليه) .

[٢] قالت الثانية : زوجى لا أبث خبره إنى أخاف أن لا أذره ، إن أذكره أذكر عجره وبجره (زوجها لن تتحدث عنه ولا عن أخباره أو أسراره ، فهو شخص عجيب ملىء بالعيوب والطبائع السيئة فأى شىء تذكر وأى شىء تدع) .

[٣] قالت الثالثة : زوجى العشنق إن أنطق أطلق ، وإن أسكت أعلق (زوجها رجل متطلع طويل .. سيىء العشرة ، إن تحدثت عنه وعلم طلقها ، وإن لم تتكلم

علقها ، فهى ليست بالمتزوجة السعيدة ولا بالمطلقة الوحيدة) .

[٤] قالت الرابعة : زوجى إن أكل لف ، وإن شرب اشتف ، وإن اضطجع التف ، ولا يولج الكف ، ليعلم البث (زوجها رجل ذو نهم شديد ، يأكل بشراسة حتى تمتلئ معدته ، وإذا شرب أفرغ كل ما فى الكوب من شراب ، وإذا نام غطى نفسه جيدا وأدار ظهره لها ، ولا تمتد يده إلى من هى بجواره ليداعبها !!) .

[٥] قالت الخامسة : زوجى عياياء طباقاء ، كل داء له داء شجَّك أو فلَّك أو جمع كلا لك . (زوجها رجل علجز ربما ماديا وربما جنسيا أو كليهما ، وأحمق أيضا فى سلوكه ، ويجمع كل الرذائل أو النقائص التى يعد أحدها مفردا داء أو عيبا ، وإذا ضربها فتح رأسها أو كسر لها أحد ضلوعها ، وإذا مازحها أعابها .. فأى بلاء أشد من هذا الرجل .. !!) .

[٦] قالت السادسة : زوجى كليل تهامة ، لا حر ولا قر ، ولا مخافة ولا سآمة . (زوجها رجل مختلف عن كل ما سبقوه فى حديث زميلاتها فهو رجل معتدل فى مناخه وأفكاره وسلوكه . ليس بالحار الساخن ، ولا بالبارد شديد البرودة ، بل هو ربيعى أو خريفى المناخ والطقس ، وهى تحب معاشرته بلا خوف أو ملل) .

[٧] قالت السابعة : زوجى إن دخل فهد ، وإن خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد. (زوجها كالفهد فى بيته يحب كثيرة الرقاد وقيل كثير الجماع لها ، وهو كالأسد الشجاع الهمام خارج البيت يهابه الجميع ، وهو رجل كريم ينفق بسخاء وليس فى حاجة إلى نصح أو إرشاد للاهتمام بأهله أو بنفقته عليهم) .

[٨] قالت الثامنة : زوجى المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب ، وأنا أغلبه ، والناس يغلب . (زوجها لين الجانب ، رقيق الطبع ، لا يغضب ولا يصخب ، ولطبعه اللين الكريم ، فهى تكاد تغلبه بدهائها وذكائها وتجعله يطيعها فيما تريد بينما هو قادر على أن يغلب الناس ولا يغلب منهم .

[٩] قالت التاسعة : زوجى رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد . (زوجها ركل كريم ، عالى الهمة ، شريف النسب وهو رجل شجاع يملك سيفا طويلا ، شديد البأس عند اللقاء رغم كثرة ضيوفه فهو كريم معهم لا تنطفئ لداره نار من كثرة الزوار ، يلبى نداء المستغيث ، همام يمد العون لمن يحتاج إليها .

[١٠] قالت العاشرة : زوجى مالك ، وما مالك ؟ مالك خير من ذلك ، له إبل

قليلات المسارح ، كثيرات المبارك ، إذا سمعن صوت المزاهر أيقن أنهن هوالـــك .
(زوجها يدعى مالك ، وهو فى نظرها خير من كل الرجال الذين سمعت عنهم وعن أحوالهم مع نسائهم ومع عشائرهم ، وهو رجل عظيم الكرم ذو ثراء واسع وكرم أوسع ، فإبله لا تمرح ولا تسرح ، بل هى ترقد فى انتظار الضيوف لتذبح ، وهى تعرف أن صوت المزاهر يعنى نهاية حياتها ، واقتراب موعد ذبحها ، فياله من كرم ... !!

[١١] قالت الحادية عشر : زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ، أناسَ من حلـــى أذنى .. وملأ من شحم عضدى ، بجحنى فبجحت إلى نفسى ، وجدنى فى أهل غنيمة بشق ، فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ، ودائس ومنق ، فعنده أقول ، فلا أقبـــح ، وأرقد فأتصبح ، وأشرب فأتقمح ، أم أبى زرع ، وما أم أبى زرع ؟ عكومـها رداح ، وبيتها فساح .. ابن أبى زرع ، وما ابن أبى زرع ؟ مضجعـه كمســل شــطبه ، وتشبعه ذراع جفرة .. بنت أبى زرع وما بنت أبى زرع ؟ طوع أبيها وأمها ومـــلء كسائها ، وعطف ردائها ، وزين أهلها ، وغيظ جارتها .. جاريـــة أبى زرع ، ومـــا جارية أبى زرع ؟ لا تبث حديثنا تبثيثا ولا تنقث ميرتنا تنقيثا ولا تملأ بيتنا تعشيشا . خرج أبو زرع ، والأوطاب تمخض ، فمر بامرأة معها ابنان لها كالفهدين ، يلعبـــان من تحت خصرها برمانتين ، فطلقنى ونكحها ، فنكحت بعده رجلا سريا ، ركـــب شريا وأخذ خطيا وأراح على نعما ثريا ، وأعطانى من كل رائحة زوجا ، فقـــال : كلى أم زرع وميرى أهلك ، فلو جمعت كل شىء أعطانيه ، ما ملأ أصغر إناء مـــن آنية أبى زرع . (زوجها يدعى أبـو زرع ، وتبدأ حديثها بسؤال استفهام لإثارة الجالسات للحديث عنه لعظمته عندها ، وهو رجل ذو معدن أصيل نفيس ، كريم ودود ، ثرى وسخى ، أعطى زوجته كل ما كانت تحلم به وما لم تحلم به سواء من حلى أو طعام أو شراب ، أو راحة واستقرار ، واحترمها وقدرها حتى استمدت من خلاله ثقتها بنفسها وقدرت نفسها ، وتعترف المرأة بفقر أهلها وضيق ذات يدهم ، وسعة رزق ومال زوجها ، وتقر بفضله فى تلك النقلة من حال البؤس والشقاء إلى حيث النعيم والرخاء وكثرة الخيل والإبل ، ومن خصال زوجها الكريمة أنها تتحدث بتلقائية مفرطة فلا يلتمس لحديثها العثرات أو يقبح لها قولا رغم تفاهته أو حتى سخافته ، وتنام حتى الصباح دون أن يلومها فهناك الخدم الذين يقومون بكل أعباء البيت وتنظيفه وخدمته ، وتشرب من كافة أنواع المشروبات والفواكه حتى الثمالة دون أن تلام ، وتتحدث المرأة عن والدة زوجها فتذكرها بخير هى الأخرى ولا تعتب عليها ، فهى امرأة ثرية ، لديها أثاث بيت عظيم ، ودارها

فسيحة واسعة، ولأنها محبة لزوجها فهى حين تتحدث عن أبنائه لا تقول ابنتى أو ابتنى بل تنسبهم إليه وحده ، فتقول عن الولد بأنه : إذا رقد نام كالسيف المسلول بلا اعوجاج أو انحناء ، وإذا أكل فهو يأكل قليلا من اللحم فهو ليس بشره .

أما ابنة أبى زرع ، وهى ابنتها كذلك فهى ابنة مطيعة هادئة ، لطيفة الجانب ، تطيع أباها ، وأمها ، ممتلئة الجسد ، جميلة المنظر ، هى كالعروس أو البدر فى البيت ، ولجمال خلقها وخلقتها فإن جارتها دوما تغتاظ منها .

أما الجارية "الخادمة" فهى نشيطة ، ونظيفة هى الأخرى ، أمينة على الأسرار لا تنقل ما تسمع من داخل البيت لأحد مهما كان ، ولا تسرق شيئا ، ولا تدع البيت مهملا فتعشعش فيه العنكبوت والعثة ، بل هو دوما فى أجمل منظر وأتم نظافة ، ولم تستمر الحياة الزوجية مع زوجها على هذا المنوال من الهدوء والاستقرار والروعة والجمال حتى فاجأتها الأيام بما لم يخطر لها على بال ، فقد خرج زوجها ذات يوم فرأى امرأة ذات خصر جميل ومعها ولدان فأعجبته فتزوجها وطلق أم زرع .. !! . ويا لروعة الحب والإخلاص لا تذمه ولا تسبه ولا تعيبه ، بل تروى الحدث وكأن شيء طبيعى فى مسلسل أحدث حياتها رغم خطورته ألا وهو طلاقها دون سبب !! . وتتابع أم زرع قصتها فتقول : إنها هى الأخرى تزوجت رجلا آخر بعد أبى زرع ، وكان هو الآخر ثريا ، ولديه فرس شجاع ، وقد أكرمها هو الآخر وأعطاها من كل شيء زوجين وقال لها : كلى ما تشائين وصلى أهلك بالخير والبر.

ورغم عطاء الزوج الجديد فهو لا يعدو أن يكون شيئا صغيرا مثل أصغر إناء من آنية أبى زرع كانت تأكل فيه أو تملكه ذات يوم .. !! وهذا كناية عن شدة إعجابها وحبها ووفائها لعشرة أبى زرع ، وربما يعود ذلك للمثل القائل "ما الحب إلا للحبيب الأول" أو ربما يعود لكثرة أفضال وعظم خصال أبى زرع المادية والمعنوية معا ، وأنه كان أول من انتشلها من بئر الفقر والحرمان وأذاقها طعم النعيم والأمان .

فقال النبى ﷺ : **"يا عائشة كنت لك كأبى زرع لأم زرع إلاأن أبا زرع طلق .. وأنا لا أطلق"**[1] . (وهنا يختم الرسول الكريم ﷺ والزوج الحنون قصة هؤلاء النسوة اللاتى اعترفن سرا بقوله لعائشة أم المؤمنين وأحب زوجاته إلى قلبه مداعبا لها : وأنا لك كأبى زرع فى كرمه وعطائه وحسن معاملته ولطف معاشرته ،

---

(١) أخرجه الترمذى ـــ كتاب الشمائل رقم (٢٥) .

وإن كان أبو زرع قد فجع أم زرع بطلاقها فأنا لن أفجعك فيَّ ولن أفارقك .

• كانت جارية من بنات الملوك تكره التزوج ، فاجتمع عندها نسوة فتذاكرن التزويج وقلن لها : ما يمنعك من التزويج . قالت : وما فيه من الخير ؟ قلن وهل لذة العيش إلا فى التزويج ؟ قالت : فلتصف كل واحدة منكن ما عندها فيه من الخير حتى أسمع .

فقالت إحداهن : زوجى عونى فى الشدائد ، وهو عائدى دون كل عائد . إن غضبت عطف ، وإن مرضت لطف . (زوجها رجل عظيم ، خير ملاذ لها عند الحاجة . تأمن فى صدره إذا خافت ، وتشبع من طعامه إذا جاعت ، وتشرب من حبه إذا ظمأت وتسكن آلامها عنده إذا توجعت ، وإذا غضبت يوما لا يقابل غضبها بعنف بل يلقاه بصبر ولطف .. !! وإذا مرضت عنده عاما عاملها بعطف فياله من نبل وكرم !!

قالت الثانية : زوجى لما عنانى كافى ، ولما أسقمنى شافى ، عرقه المسك المطوق ، وعناقه كالخلد ، ولا يمل طول العهد . (زوجها حصنها الحصين ، وملجؤها الأمين مهما أتاها الزمان بعجائب أو مصائب أو غرائب ، فزوجها قادر بمشيئة الله على معالجة أو مواجهة كافة صنوف البلاء وحمايتها ووقايتها ، هو دواؤها من كل داء ، وهى تعشقه وتحب رائحة عرقه وآثار جهده كأنها المسك والطيب ، وحين تكون بين ذراعيه تشعر كأن الدنيا بين يديها والسعادة والهناء والخلود قد بسطت فرشها تحت قدميها ، هو خير أنيس وجليس عندها ، وهى لا تمله يوما ولا يملها .

فقالت الجارية : هذا خير منه .

قالت الثالثة : زوجى الشعار حين أبرد ، وأنيسى حين أفرد . (زوجها إذا أرعدت الدنيا من حولها ، وإذا اشتدت البرودة فى طقسها ،وإذا أظلمت الدنيا فى وجهها ، فإنها تجد فى معاشرة زوجها حبا ودفئا ، وفى جلسته أنسا ولطفا ، وفى رقة كلماته إشراقة وضوءا ..

فقررت ابنة الملك حينئذ ـ وقد أسعدها ما تنادى إلى أسماعها من أخبار طيبة عن الحياة الزوجية ومباهجها فى كنف زوج محب لزوجته مقدر لمشاركتها له فى الحياة ـ أن تتزوج من فورها . وبعد فترة من الزواج .. سألت هؤلاء النسوة تلك الأميرة : كيف رأيت التزويج إذن ؟

قالت : أنعم نعيم ، وسرور لا يوصف ، ولذة ليس منها خلف .